Al-Aijaz Research Journal of Islamic Studies & Humanities
(Bi-Annual) Trilingual: Urdu, Arabic and English
ISSN: 2707-1200 (Print) 2707-1219 (Electronic)
Home Page: http://www.arjish.com
Approved by HEC in "Y" Category
Indexed with: IRI (AIOU), Australian Islamic Library, ARI, ISI, SIS, Euro pub.
Published by the Al-Khadim Foundation which is a registered organization under the Societies Registration ACT.XXI of 1860 of Pakistan
Website: www.arjish.com
Copyright Al Khadim Foundation All Rights Reserved © 2020
This work is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

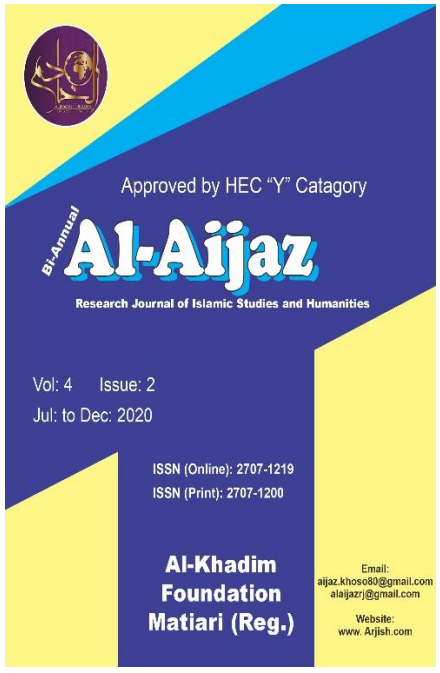


TOPIC:

# Use of Literary Rehtorical Device "Al Hajaj" in the Nobel Prophet's Hadith

AUTHORS:

1. Atta Ullah Rahim, Lecturer, American Institute, U.A.E.
Email: drattaullahrahim@yahoo.com, ORCID ID: 0000-0002-7372-0485
2. Sana Ayesha Khan, Lecturer, NUML Islamabad.
Email: sykhan@numl.edu.pkm, ORCID ID: 0000-0002-7517-043X

**How to cite:**
Rahim, A. U. ., & Khan, S. A. (2020). A-4 Use of Literary Rehtorical Device "Al Hajaj" in the Nobel Prophet,s Hadith. *Al-Aijaz Research Journal of Islamic Studies & Humanities*, *4*(2), 39-62.
https://doi.org/10.53575/A4.v4.02(20).39-62

URL: http://www.arjish.com/index.php/arjish/article/view/130

Vol: 4, No. 1 | January to June 2020 | Page: 39-62

Published online: 2020-11-13

QR Code

# مستويات الخطاب الحجاج البلاغي في الحديث النبوي الشريف

## Use of Literary Rehtorical Device "Al Hajaj" in the Nobel Prophet's Hadith

Atta Ullah Rahim*
Sana Ayesha Khan**

**Abstract**
The language of Hadith is unique and unsurpassed. Every sentence is accurate & errorless perfect. We found several kinds of rhetoric , embellishment, eloquence and Semantics in the Prophetic Hadith.( Al Hajaj) is a rhetoric device that is frequently used in Prophetic Hadith. It inspires the audience and draws their attention to concentrate on the essence of the meaning by presenting different aspects of the word. This article aims to reveal the expressional and imaginative aspect of this literary device. The method used in this research is descriptive, analytical and applied. The paper ends with analysis and various results.
**Keywords :** Rhetoric,Descriptive, Embellishement,Al Hajaj

**مقدمة:**

هذه الورقة تبحث وتتناول تقنيات الحجاج البلاغي للخطاب النبوي الشريف، وإن كان الاقناع يندرج ضمن ما تسعى إليه سيميائيات التواصل بدراسة أساليب التواصل قصد التأثير، فالخطاب الحجاجي يهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه، في شكل صيغ لغوية هي أفعال كلام تمارس وظيفة الإقناع من خلال قوتها الكلامية، تتجلى من خلال الآليات الحجاجية البناء والربط والتشبيه والاستعارة والكناية.

لذلك سوف نركز في هذه الورقة ومن خلال النماذج من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى إبراز الجوانب الحجاجية البلاغية الاستدلالية المتجلية في أفعال الكلام ذاتها، لنص الحديث النبوي الشريف، أي تقنيات الحجاج البلاغية الموظفة للإقناع والتأثير، كالاستعارة والبديع والتمثيل، كما تبحث هذه الورقة في البنية الحجاجية للخطاب النبوي، ومسوغات استعمال الخطاب التوجيهي والتعليمي والاقناعي، فهي استراتجيات واقعة في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، فنجد نماذج كثيرة في الحديث النبوي الشريف تسوغ استعمال ذلك.

إننا في هذا البحث نحاول بيان دور الآليات البلاغية وتنويعها في إظهار العلاقة الحجاجية التي تربط بداية الحديث بنهايته، وهي أيضا توضيحا وتفصيلا لما أجمل، أو لمجموعة من القضايا المرتبطة بالنتيجة الواردة في أول الحديث، وكذا معرفة كيفية تفاعل وتكامل الجوانب الحجاجية بالجوانب الإخبارية في الحديث النبوي الشريف.ويتضح هدف البحث أكثر في إبراز بعض

* Lecturer, American Institute, U.A.E.
Email: drattaullahrahim@yahoo.com, ORCID ID: 0000-0002-7372-0485
** Lecturer, NUML Islamabad.
Email: sykhan@numl.edu.pkm, ORCID ID: 0000-0002-7517-043X

الجوانب الحجاجية البلاغية في الأحاديث النبوية وطبيعتها الاستدلالية، ذلك أن مظاهر الحجاج تختلف من حديث لآخر. وهنا نريد أن نشير إلى أن الوظيفة الحجاجية التي تهمنا في هذا البحث بيان أهمية دراسة الجوانب الحجاجية في خطابات الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي حجج مبثوثة في أحاديثه، تخدم النتيجة أي تسير في اتجاه حجاجي واحد.وكانت السلسلة الخطابية محددة بواسطة الآليات البلاغية، من هنا كان لابد من الوقوف على تقنيات الخطاب الحجاجي البلاغي، لمعرفة قيمتها الحجاجية والمتمثلة في الروابط الحجاجية البلاغية، والنظر في كيفية توظيف مستويات الخطاب البلاغي بأنواعه، باعتبار أن الخطاب النبوي دلائل على نبوته وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

**مفهوم الحجاج :**

الحج في اللغة القصد حج إلينا فلانٌ أي قدم وحجه يحجه حجا قصده وحججت فلانا واعتمدته أي قصدته ورجلٌ محجوجٌ أي مقصود، والحجة البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم[1].

والملاحظ هنا أن لفظ الحجاج من الحجة منطوق يقدمه المتكلم يخدم منطوقا آخر، يكون على شكل قول أو فقرة أو نص أو سلوك غير لفظي، وما يربط بينهما هي التقنيات الحجاجية أو العلاقة الحجاجية، تترك حرية للمرسل إليه الترجيح ما بين خيارات قبوله أو رفضه.

نفهم من ذلك أن الحجاج تقديم الحجج والأدلة المؤدية نتيجة معينة، ومفهوم مصطلح الحجاج في العربية لا تختلف دلالته في اللغات الأجنبية عما هو مفهوم عندنا، إذ أن لفظة Argument بمعنى الاعتراض أو طرح موقف مصاحب بحجج تؤيد وجهة النظر في اللغة الفرنسية.

إذا الحجاج إنتاج سلسلة أفعال كلامية مترابطة فيما بينها، مكونة وحدة موضوعية بعضها بمثابة حجج.

**مستويات الخطاب في الحديث النبوي الشريف ومسوغات توظيفه :**

وبما أن الخطاب سلسلة أفعال كلامية معبرة عن قصد معين يريده المتكلم، وبمعنى آخر ما هي أسباب لجوء المخاطب إلى توظيف أساليب متعددة للخطاب؟ عبر مستويات اللغة(Niveau de langage)، ووضع أطراف الخطاب في المكانة المستحقة من عملية الإبداع، عبر الاستعمالات التعبيرية المتعددة؟

هذه بعض الأسئلة حول تنوع العناصر السياقية وتعدد الاستعمالات اللغوية والبلاغية، وما يراعيه المرسل في خطابه، تعد المركز لجعل الخطاب يتناسب ومنزلة المرسل إليه، هنا يكمن دور الخطاب الحجاجي البلاغي ووظيفته، في جعل المعنى لا يتوقف عند حدود اللفظ أو الشكل اللغوي، بل يتعدى إلى الاستعمال اللغوي، وفي هذا المبحث أربعة مستويات للخطاب تمثل تقنيات حجاجية في الحديث النبوي:

- مستوى الخطاب الحجاجي التعليمي(سلطة المرسل).
- مستوى الخطاب الحجاجي التضامني في الحديث النبوي الشريف.
- مستوى الخطاب الحجاجي الانجازي التلميحي في الحديث النبوي الشريف.

- مستوى الخطاب الحجاجي الإقناعي في الحديث النبوي الشريف.

### ❖ مستوى الخطاب الحجاجي التعليمي(سلطة المرسل):

تبين المواضيع التي أسست فيها البلاغة لأساليب الخطاب في الحديث النبوي الشريف، أنه خطاب ذا بلاغة أمر ونهي، وهاذين الأسلوبين الأكثر حضورا في أحاديث المصطفى، يمثلان بنية حجاجية قوية لإيصال الفكرة للقارئ، وبما أن الخطاب مجموعة كلمات ذات تصور ومفهوم خاص لدى المتكلم، تحيل إلى مدلول معين، تحقيقا لقصده، وامتثال المرسل إليه ولما يريده، إذ هم المخاطب تبليغ المخاطب محتوى الخطاب، ويكون ذلك بالضغط على المرسل إليه وتوجيهه للقيام بفعل مستقبلي، أي بأسلوب تعليمي يحمل طابع النصح والتحذير، باستعمال أدوات خاصة تتضمن بطبيعتها ذلك، ولهذا الاستعمال التعليمي وظيفة خاصة، لكونها موجهة للخطاب معبرة عن قصد المرسل، والمحققة لهدفه المتمثل في إنجاز أفعال بعد لحظة التلفظ سواء أمر أو نهي، قد يكون الغرض منه لصالح المرسل أو المرسل إليه، فإن كان الغرض من الاستعمال التعليمي هو منفعة المرسل، ففعل التوجيه هنا (واجب) الطاعة، أما إذا كانت المنفعة لصالح المرسل إليه، حكمها هنا الاختيار بالقيام بالفعل أو تركه، يعرف بـ (الندب)[2].

ومن الواضح أن محاولة الضغط على المخاطب وتوجيهه للقيام بفعل، تقنية حجاجية مهمة يحدد من خلالها مقدار العلاقة بين طرفي الخطاب، كخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا أو يمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا" [3]، نلاحظ في هذا الحديث أنه مبني على أفعال الكلام المباشرة وهي أفعال التوجيه المتمثلة في الأمر، خطاب تعليمي إرشادي اتسم بالوضوح والتعبير عن قصد هو نصحهم، باستعمال فعل الأمر بادروا فكان وضوح التوجيه باستعمال صيغة الأمر حقق هدف الخطاب، في توجيه المرسل إليه بضرورة المبادرة إلى الأعمال الصالحة، ويوجه قواته للالتزام بذلك، وهي أفعال كلام الغاية منها حمل السامع على فعل ما أمر به، فتن متواصلة لا فاصل بين فتنة وأخرى، إغواؤها شديد لا يقوى عليها إلا القليل.

وإن تعددت النماذج الخطابية الحجاجية في الحديث النبوي في هذا السياق، منها القائمة على توظيف المرسل في خطابه ألفاظا دالة على النهي، إلى درجة أن دلالة النهي ينتجها الخطاب اللغوي، الدال على الامتناع، كاستعمال بنية حجاجية هي حرف (لا) الذي يسبق الفعل المضارع، كما في قوله صلى الله عليه وسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:قال النبي صلى الله عليه و سلم "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" [4]، فالمرسل وظف خطابا معينا ومحددا ذا سمات تعليمية دون غيره، وهذه المعرفة المتعلقة بالخطاب بينت اصرار المرسل على تنفيذ قصده، هو تحذيرهم عن سب صحابته، مؤشرا تداولي على أن النهي تأكيدا لمعرفة المرسل بالمرسل إليه، لا تسبوا معبرا عن قصده صلى الله عليه وسلم، هو بيان مكانة الصحابة رضي الله عنهم.

وقوله صلى الله عليه وسلم "لا يحل لرجل أن يعطي العطية فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية ويرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء ثم رجع في قيئه"[5]، وفي حديث آخر عن أبي أيوب الأنصاري: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:"لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"[6]، أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفهم المرسل إليه أنه ينهاه عن هذه الأفعال سواء بأمره بعدم ارتكابها، أو تقييد حريته في ممارستها.

وتزداد دقة الحديث النبوي الشريف في توظيف بنية حجاجية أخرى هي (لا) صيغة النهي، مع نون التوكيد كون النهي يحمل طابع التأكيد، ومثله عن أبي ذر قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:"لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"[7]، بمعنى أن صيغة النهي مثله مثل الأمر، يوظفه المرسل لتعليم المرسل إليه وتوجيهه، ويقع على الشاهد والغائب:"اعلم أن الطلب من النهي بمنزلته من الأمر يجري على لفظه كما يجري على لفظ الأمر"[8]، خطاب يشد انتباه السامع، فيتحقق بذلك تماسك الخطاب وانسجامه وذلك لمعرفة المرسل المسبقة بالرسل إليه (لا تسبوا أصحابي)، (لا يحل لرجل أن يهجر أخاه)، (لا يحل لرجل أن يعطي العطية)،(لا تحقرن)، فهو خطاب خاص موجه للذين يؤمنون به ويصدقونه، وهذا من أولويات قبول الخطاب، ثم يتحول هذا الملفوظ إلى القيام بانجاز فعل سلوكي.

والخطاب لا يقتصر على الإخبار لاقناع المتلقي وتوجيهه، بل للتعبير عن مقاصد المتخاطبين المتعددة، فقد يصدر من المخاطب عبارات (استفهامية، وأمر)، يتجاوز بها الفعل اللغوي الإنجازي إلى الفعل التأثيري.

كما يعد الاستفهام من الآليات اللغوية التعليمية الحجاجية، يوظفها المرسل لتوجيه المرسل إليه، يتجسد من خلاله سيطرة المرسل على المرسل إليه، فيسير الخطاب حسب رغبة المرسل، ويتوقف ذلك على نوعية الأسئلة الموظفة، إذ الأسئلة المستعملة هو ما يخدم قصد المرسل، ذلك أن وظيفة الخطاب اللغوي، دفع المرسل باستعمال الاستفهام، إذ به يبدأ بالحث عن معلومات وينتهي بتقديمها وتوضيحها وتأكيدها، فكان الاستفهام الذي خاطب به الرسول متلقيه في قوله" ألا أدلكم" ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط"[9]، خطاب حواري يحمل طابع الاقناع والتوجيه، متبوع بفعل المضارع (أدلكم)، فكان جواب السامع بلفظ(بلى ) جواب غرضه طلب المزيد من المعلومات، ليزيل الرسول صلى الله عليه وسلم في الأخير الاستفهام عنهم، وهو خطاب مباشر وفعل لغوي إنجازي تأثيري، ونستطيع أن نقول أنه فعل طلبي، خطابا مباشرا لا يستدعي عمليات ذهنية استدلالية، والدليل على ذلك ردهم الصريح، فهي محددة بواسطة بنية الأقوال الحجاجية.

ويتم من خلال استعمال الاستفهام بتوظيف أدوات معينة ذات طبيعة حجاجية، وسيلة أخرى للحصول على معلومات من المرسل إليه، فعن أبي هريرة: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه )، قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال:(فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها

الخطايا"[10]، بدأ الرسول الكريم خطابه باستفهام تقريري (أرأيتم)، هو طلب الجواب من السامع، والاستفهام هنا يجذب انتباهه ويطيل شوقه لمعرفة المزيد من المعلومات بلفظ(ماتقول)، أسلوب ترغيبي أي ما تظن أيها السامع، مشبها المؤمن المواظب على الصلاة بحال المؤمن الذي يمر ببابه نهر، فكانت إجابة المرسل إليه سريعة، خطاب يبين قوة علاقة المرسل بالمتلقي، تصحيحا لعلاقة طرفي الخطاب، وبالمناسبة فقد ضبط علماء أصول الفقه الاستعمال التعليمي ووضعوا له شروطا، قصد الوقوف وإدراك الحكم الشرعي، فبين الغزالي[11] الأمر والنهي:"وهو قسم من أقسام الكلام . وحد الأمر أنه القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به، والنهي هو القول المقتضي ترك الفعل"[12].

كما يوظف النداء لتوجيه المرسل إليه للقيام بفعل وتحفيزه، وهي بنية حجاجية تتخذ شكل الأفعال التوجيهية، مبدأ أساسيا لتحقيق العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، ويلعب دورا في تقديم الحجج، وباستعماله يكون للحجة طابع البرهان مثل ما جاء في خطاب الرسول صلى عليه وسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة"[13]، خطاب فيه نوع من الإكبار والإجلال، يحمل طابع النهي:خطاب استعمل فيه ضمير جماعة المتكلمين، وليس المفرد، وهذا لتحفيز وإعطاء معلومات للمرسل إليه، خطاب يحمل طابع النصح والإخلاص للنسوة المسلمات، في كل ما قدمه من معلومات مهمة ودقيقة.

إن الوسائل الحجاجية الموظفة في الحديث النبوي الشريف عبر الاستعمال التعليمي، تحقق الإقناع، فهو خطاب برهاني أو حجاجي يهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه، في دعوة وتوجيه المرسل إليه وتحذيره، وإغرائه لأمر محبوب لديه، كما يعبر عن توجه مرسل الخطاب ورغبته وأمنيته، بجعله يتقبل ملفوظا معينا أو نتيجة معينة، وهو المنهج الأمثل للتواصل، يقوي علاقة التخاطب بين المرسل والمتلقي، القائمة على مبدأ التعاون، وأن المرسل يفرض مسبقا تعاون المرسل إليه لفهم قصده، الذي يغفل ما يتعلق بتهذيب الخطاب، لأن غاية المرسل هي تبليغ ما يريده، وهذا من منطلقات المرسل قصد توجيه المرسل إليه، للقيام بفعل في المستقبل، من خلال الآليات الاقناعية في الحديث، كالإكثار من استعمال الأمر والنهي، والاستفهام والنداء، آليات حجاجية تقوم على حمل المخاطب على استنتاج معان تدعوه للإقناع، مما يبين أن عملية الفهم والإفهام متوقفة على علاقة المرسل بالمستقبل، سواء أكانت إيجابية أو سلبية ليستطيع تفكيك الخطاب، ويؤوله انطلاقا من علاقته السابقة بالمرسل، وموقفه من الموضوعات التي يتناولها الخطاب، كل ذلك يترك أثره في المتلقي، لمعرفة مقاصد المرسل وأهداف الخطاب.

فسلطة المرسل المتمثلة في الحديث النبوي تجعل من المتلقي يتقبل الخطاب وينقاد له، إذ تتجسد ذاتية المرسل في الخطاب لما يملكه من توظيف لعناصر اللغة من الانزياح والخروج عن المألوف، وما يقوم به من استعمالات صوتية وتركيبات لغوية (نحوية وصرفية بلاغية وعلاقات معجمية) فهي جد متصلة بشخصية المرسل إليه، تتجلى من خلالها براعة المتكلم في توظيف الآليات الحجاجية .

وهنا يظهر لنا كيف أن تركيب الجمل، يتأثر بالعلاقة بين المتحدث والسامع، فيوظف خطابا معينا ذا سمات تعليمية، قائما

على عنصر المفاجأة، تكون تحديدا للعلاقة بين أطراف الخطاب، ولما يقوم به المرسل من ضغط على متلقيه للقيام بفعل، انطلاقا من توظيف المعرفة المسبقة،لإرغام المرسل إليه على تنفيذ قصده، وتصحيحا لعلاقة المرسل بالمتلقي، ليحقق التناسب بين لغة الخطاب الشكلية ومعطيات السياق.

وحسب مبدأ نظام العلاقة بين الطرفين (مخاطب ومخاطب)، نستنتج أن سلطة الحديث النبوي تتجلى في القوة الإنجازية للخطاب من خلال الأدوات الحجاجية البرهانية، طبقا لمقتضيات السياق، تتخذ شكل الأفعال التوجيهية من أمر ونهي بالترغيب والترهيب، فترقى بالمعنى الأخلاقي من سياق التعريف والإخبار إلى سياق التوجيه والتكليف، تظهر تنوع استراتجيات الخطاب في الحديث النبوي الشريف، وهنا نستنتج أن من مميزات الأسلوب الحجاجي التعليمي في الحديث النبوي الشريف:

- خطابه لا يستلزم أكثر من قصد ليترك للمرسل إليه فرصة للتأمل.
- خطاب يتطلب تنفيذ قصد المرسل بإنجاز الفعل العملي في المستقبل، فيتخذ شكل الأفعال التوجيهية من أمر ونهي.
- الوسائل الحجاجية الموظفة في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، غاية تعليمية، فهو خطاب برهاني أو حجاجي يهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه.

❖ **مستوى الخطاب الحجاجي التضامني في الحديث النبوي الشريف :**

بما أن الاستعمال اللغوي ليس مجرد إبراز لمنطوق لغوي فحسب، فلا يقف عند حدود الإبلاغ والإخبار والأمر والنهي ولكنه يتجاوز ذلك ويتخطاه إلى التضامن بين المرسل والمرسل إليه دون استعمال سلطة تعليمية كأسلوب الأمر والنهي، وقد كان عليه الصلاة والسلام يدرك أن الأقوال والأفعال التي كان يأتي بها، يقدرها بحسب الفائدة التي تدرها على المخاطب، ويؤكد ذلك مبدأ التصديق في أحاديثه أي مطابقة القول للفعل، فتظل هذه الأخيرة أي (العلاقة) مرهونة بقصد المرسل وبهدف الخطاب، يمكن تجسيدها عبر آليات حجاجية لغوية وبلاغية تهدف إلى مشاركة المرسل إليه، والتضامن معه، ومن ثم كيف تسهم مشاركة المتكلم في خطابه الحجاجي التضامني للمتلقي في تماسك الخطاب، لتصبح علاقة الخطاب في نهايتها أفضل مما كانت عليه في بدايتها؟

ومما يؤكد الصفة الحجاجية للخطاب، أن يعبر المرسل عن قصده بكافة الوسائل فينتج خطابا مناسبا للسياق، ينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه، وبالتالي قد يحقق المرسل أكثر من قصد، وتارة ينتج خطابا مطابقا لشكل اللغة الدلالي، فيكون المعنى موافقا للخطاب ظاهريا، وأحيانا يميل المرسل إلى أسلوب، مشاركة المرسل إليه في الخطاب ويتضامن معه، يأخذ شكل الخطاب التضامني الحجاجي، أي أن الأشكال الحجاجية التي سوف نعرض بعضها من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام تدل على تفهم الرسول لوضعية المخاطبين، ذلك أن المعنى المراد من الخطاب يتطلب ذلك، مما يبين الحضور التام للمرسل إليه أثناء إنتاج الخطاب، ومعرفة المرسل للمرسل إليه معرفة تامة، لذا اهتم علماء التفسير، بما يتصل بظروف التنزيل وملابساته، ونقصد بها زمانه ومكانه أي مراحل تنزيل السورة وأسباب النزول (المخاطبون)، وموضوع

الخطاب.

وتأسيسا لهذه العلاقة والممثلة لأسلوب المشاركة والتضامن، وضع (ليتش) نظرية في التأدب في ست قواعد، فأعاد تصنيف الأفعال هي:(اللباقة،السخاء والاستحسان، التواضع، المرافقة، التجانس)، وجعل قاعدة اللباقة هي الرئيسة، والأخرى متفرعة عنها.

نفهم من ذلك ارتكاز الخطاب على قدرة المرسل، والتكيف بمحيطه وإرادته في التعبير عن مقاصده لتحقيق هدفه، إلى قدرة المرسل إليه في فهم الخطاب، بدءا من اختيار المرسل للعلامة اللغوية وما يتناسب والسياق، والممثلة لطاقاته الكامنة، إذ يجب:"أن تتكئ إنجازاته الخطابية أيضا على عامل مهم،وهو حصول الإرادة للتلفظ بالخطاب، في السياق المناسب"[14].

وقد سعى الرسول صلى الله عليه وسلم عبر ما يوظفه من أدوات لغوية وبلاغية، للتقريب بينه وبين المرسل إليه، غايته جعل المرسل إليه يميل إلى تقبل الخطاب، خاليا من أي أسلوب تعليمي أو إنجازي، وإن كان هذا المفهوم قريبا من الإقناع، بمعنى أن المرسل يوظف أفعالا كلامية تضمن علاقة أطراف الخطاب، محققة عملية التواصل، وتكون بالمقابل منتجة لأغراض الخطاب، وتحقيقا للمنفعة والقصد، هي في جوهرها تقنيات حجاجية لذا يلجأ المرسل إلى:

- توظيف صيغ معينة للخطاب، واستعمال أدوات لغوية وبلاغية تنتمي إلى حقل القرابة الدلالي، مثل: أدوات النداء (يا عم)، (يا عائشة) ومخاطبة الرسول: (يا عبد الله)، ( يا عم)، (يا بلال) (أصحابي)، خطاب تتجسد فيه علاقة التضامن بين المرسل والمرسل إليه لبيان مدى اهتمام المرسل به، فاستعملت أدواة النداء هنا في موقعها بحرف النداء(يا)، لنداء القريب والبعيد، غير أنها تارة تكون مراعاة لقصد الخطاب، وجذب انتباه المتلقي، وتلبية لمبدأ التضامن، يخرج المتكلم عن معهود العرب، في توظيف الخطاب اللغوي، ففي الضمائر المحددة لأطراف الخطاب، هناك ضمير المتكلم وحده، وضمير نحن للمتكلم المعظم نفسه.

كما تستعمل أسماء الإشارة هي الأخرى حسب وضعها في اللغة، فالقريب للقريب والبعيد للبعيد، وهذا هو الأصل في استعمالها، وكما ذكرنا ومراعاة لتلك العلاقة يخرج المرسل عن ما هو متعارف عليه، كأن يخرج عن استعمال أصول تلك الأدوات، باستعمال أدوات لغوية تنتمي إلى حقل القرابة، على نحو ما رأيناه في: (يا عم)، المجسدة لعلاقة التضامن، بنية حجاجية استعملها الرسول عليه الصلاة والسلام خطابه ومثله توظيف لفظ القرابة (يا فاطمة).

ومن خلال مختلف الآليات اللغوية والبلاغية وهي أفعال كلام تمارس وظيفة التضامن والتي تمثل الحجاج في أبرز مظاهرها؛ لذلك سوف نركز على بلاغة الخطاب الحجاجي التضامني في الحديث النبوي الشريف، على أهم تقنيات الحجاج المساهمة في تقريب المرسل إليه، فعندما نتأمل أحاديث الرسول نجد نماذج من أحاديثه أسست من خلال التلفظ على ما يعرف بمنطق التأدب، والذي من آلياته، ألا يفرض المتكلم نفسه على المخاطب

واستثمارا لأسلوب الخطاب الحجاجي التضامني في خطابات الرسول صلى الله عليه وسلم، أسس بها صلى الله عليه وسلم لعلاقة مع الآخرين، مع التركيز على حسن المعاملة، فتصير طريقا للعلم وسبيلا إلى المعرفة، مما يدل على أهمية وإخلاص

المتكلم، ولأهمية استعمالها، نجد أيضا في حديثه صلى الله عليه وسلم، إلى بني تميم حين جاؤوا إليه، فقال:"أبشروا يا بني تميم، قالوا أما إذ بشرتنا فأعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء ناس من أهل اليمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم:اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا قد قبلنا يا رسول الله"[15]، بدأ صلى الله عليه وسلم خطابه بلفظ (أبشروا) خطاب عزز من خلاله صداقته وصدق نيته مع قومه، دون أن يؤثر ذلك في العلاقة التراتبية الموجودة بين طرفي الخطاب، مع الحرص على انجاز العمل هو قبول البشرى، وبهذا لمح الرسول الكريم إلى ذلك موظفا الأسلوب الحجاجي التضامني، ليدل المرسل أنه يريد ردا صريحا من المرسل إليه.

وقد استعمل الرسول الكريم أساليب مختلفة في خطاباته، ومن الأمثلة على ذلك الميل إلى استعمال الآليات الحجاجية التي تنتمي إلى حقل القرابة، كذكر الأسماء والألقاب والكنية، أسلوب يلجأ إليه المتكلم في لحظة معينة، وذلك لتجسيدها لمبدأ التضامن، فوظف الرسول الأعظم لفظ (ياعم)، مع احتفاظ المتكلم بقدر من الرسمية، أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية بن المغيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب "يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله"[16]، (يا عم) يكثر استعمال هذا اللقب في العلاقات الأسرية والحميمية بوصفها مؤشرا على تضامن المرسل بالمتلقي، يفهم السامع أن المتحدث عنه هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم، للدلالة على العلاقة بينه وبين عمه، وآلية التعظيم (ياعم) يستعملها المرسل للدلالة على التضامن.

كما استعملت أداة النداء مع اسم المرسل إليه، بنية حجاجية وظفها الرسول عليه السلام في خطابه، عند ندائه أو للتبليغ عن أمر مهم، وليس مع أقربائه فقط، فقد خاطب الرسول عليه الصلاة والسلام بلال، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لبلال: "يا بلال إذا أذنت فترسل في أذانك وإذا أقمت فاحذر واجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته ولا تقوموا حتى تروني"[17]، وخاطب أبي موسى، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يا أبا موسى لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود"[18]، استعمله لشدة قربه منهما، فعلاقته صلى الله عليه وسلم بهما علاقة حصلت مع مرور الوقت، وتنامي التعامل بين طرفي الخطاب، ففضل عليه السلام أن يناديهما: (يا بلال)، (يا أبا موسى)، لأن المقام يتطلب قربه منهم،كون المقام مقام نصح وإعجاب، وأن الكلام في صالح المرسل إليه، ولهذا الاستعمال الحجاجي دلالات، منها قربه منهما وحدة الرأي والاتفاق، دليلا على أن التضامن قد بلغ درجة عالية من الثقة دون ترك مجال للفوارق بينهما، مما يدل أن مشاركة أطراف الخطاب، وتوظيف ألفاظ القرابة، من العلامات الدالة على الحقيقة بين الناس.

ولأهمية المشاركة والمساواة وتأسيسا للعلاقة بين أطراف الخطاب، أصبح استعمال بعض الكنى وتوظيفها مهما جدا، فكثر استعمالها في مواطن النصح، ومثل ذلك خطابه عليه السلام ومناداته لبعض أهله باسمها العائلي، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه و سلم "يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله لا أملك لكما من الله شيئا سلاني من مالي

ما شئتما"[19]، خطاب فيه تأدب لا تبدو فيه درجة الفوارق، دليل على أن المشاركة قد بلغت بينهما حدا كبيرا، وذكره لاسم أم الزبير وفاطمة للدلالة على شدة قربهم منه، مما أضفى على الخطاب شيئا من الرسمية والاحترام.

وقد شاع استعمال الألقاب في أحاديثه عليه السلام، وإن كان مدلولها يختلف، تارة يكون بلفظ (غلام) أو (فلان)، فالخطاب اللغوي هنا يتطلب من المرسل القيام بعمليات ذهنية، في اختيار الأدوات ثم تصنيفها، واختيار ما يتناسب والسياق، لاستثمار كفاءته اللغوية، ونفس الشيء يتطلب من المرسل إليه مشاركته وتضامنه وخطاب المرسل قصد فهمه، وذلك مراعاة للجانب الاجتماعي، آلية يكثر استعمالها في خطاب النصح، ليثبت المرسل مدى اهتمامه بالمرسل إليه، هنا يكمن دور البنية الحجاجية في ممارسة عملية الفهم، مثل ذلك ما رواه بن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات أحفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف"[20]، وقوله عليه السلام عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت . وبنبيك الذي أرسلت . فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت أجرا"[21].

بهذا الاستعمال تزداد علاقة بالمرسل بالمتلقي، استعمال يدفع بالرسل إليه إلى التعاون والتفاهم، بنية حجاجية تتجسد من خلالها درجة القرابة وتتطور بين طرفي الخطاب، وتزيل معالم الفوارق، يفضلها المتكلم في حديثه للدلالة على التضامن .

وقد يوظف المرسل ألفاظا تمثل الدلالة وتضمن استمالة المرسل إليه، كإنجاز بعض الأفعال اللغوية الدالة على ذلك، مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته،: عن بريدة الأسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"[22].

فلفظ (بشر)،(المشائسن)، و(الظلم) (المساجد) (النور التام) في الحديث الأول، دلالات تتضمن فرحة المؤمن بصلاته وسعيه إلى المسجد وعلى المكانة المرتفعة العظيمة التي ينالها دخول (بالنور التام )، وهذا الانتقاء المعجمي للفظ الدال على التأكيد والصداقة، دليلٌ على مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وما يحظى به المؤمن من مكانة عالية واهتمام في نفس الرسول الكريم.

وفي الحديث الثاني إذ يدل لفظ (أعلمك) على تهيئة المرسل إليه لقبول الخبر، نفهم من سياق الكلام إقبال الرسول صلى الله عليه وسلم وفرحته بعبد الله بن قيس، لذا بدأ حديثه بالاستفهام التقريري لضمان اقتناع المرسل إليه ويتضامن معه مما يدل درجة احترام المرسل المرسل إليه.

وهذا الانتقاء المعجمي للألفاظ (بشر)، (أعلمك)، مؤشرا للتضامن مع بقاء سلطة المرسل هي الأقوى في سياق الكلام، وكذلك ألفاظ التأييد والصداقة، الدالة على فرحة الرسول الكريم بعمل المؤمن الصالح، وعن النبي صلى الله عليه وسلم

قال:"أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى"[23]، بنية الخطاب العميقة هي حث السامع على التكفل باليتيم، استعل هنا ضمير المتكلم (أنا) الدال على الحضور والدليل على حضور المتلقي أو استحضاره حتى لو كان غائبا، ومن هذا التوظيف العجيب (أنا وكافل) ندرك مدى قرب المخاطب من منزلة المخاطب، دليل على التضامن، والغرض منه تنبيه المخاطب إلى إنجاز فعل.

**وهنا نستنتج أن من مميزات الأسلوب الحجاجي التضامني في الحديث النبوي الشريف:**

- أن أفعال الكلام في الخطاب النبوي الشريف مؤسسة على ما يعرف بمنطق التأدب، والذي من آلياته، ألا يفرض المتكلم نفسه على المخاطب، قصد الاقناع .
- يسعى الخطاب الحجاجي التضامني وضمن الخطاب العادي إلى المساواة بين درجات أطراف الخطاب، وتقليص المسافة بينهما، لتأسيس المشاركة بينهما.
- بيان مدى إخلاص واهتمام المرسل بالمرسل إليه، لذا يسعى إلى تحقيق وتبليغ القصد من الخطاب، والتعبير عنه عبر الأدوات النحوية واللغوية والبلاغية.

❖ **مستوى الخطاب الحجاجي الانجازي التلميحي في الحديث النبوي الشريف:**

من البديهي واستجابة لدواعي سياقية، يسعى المرسل إلى إنجاز وإقامة علاقات لغوية وعبارات متعددة، ليحقق أكثر من قصد، فيختار من التأويلات ما يراه الأنسب، فيصير بذلك الأسلوب الإنجازي التلميحي للخطاب من أهم الأساليب التي وظفها الرسول صلى الله عليه وسلم في خطاباته، صارت من أهم المباحث لدى علماء الأصول، فكانت الحقيقة والمجاز ودور القصد ضمن هذا العلم، والأساس في الخطاب، ما يعرف لديهم (بالإرادة الباطنة)، مع أن هناك من يذهب إلى أن العبرة بالقصد الظاهر أي ما يتلفظ به المرسل حتى ولو لم تتفق مع قصده الباطن.

وقد كان عليه الصلاة والسلام متأدبا في خطابه فليلجأ إلى التلميح بدل التصريح، فكان لا يواجه صاحب الخطأ أمام الناس، ولا يشهر بصاحبه، بل يشهر بالخطأ ويذمه، حفاظا على متلقيه، وبهذا الأسلوب يعرف صاحب الخطأ خطأه ويتعلم ويرتدع الآخرون فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول ؟ ولكن يقول ما بال أقوام يقولون كذا وكذا[24].

وعليه فالأسلوب التلميحي قصد غير مباشر تقنية حجاجية يلجأ إليه المتكلم، ويجسد ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه عن عمله في السر، "فقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش فحمد الله وأثنى عليه فقال ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[25].

يحمل خطاب الرسول عليه الصلاة والسلام قوة إنجازيه هي التلميح بعدم رضاه عليه السلام، فهو عمل مبالغ فيه، الغاية منه حمل السامع على فعل ما أمر به،ثم نلاحظ كيف يبرر عليه الصلاة والسلام ملاحظته بقوله:(لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر

وأتزوج النساء) ، ولكي يكون الخطاب متقبلا يذكر قائلا وجهه، بجعله متقبلا عند المخاطب، بقوله فمن رغب عن سنتي فليس مني.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يقدر الأقوال والأفعال التي كان يأتي بها وفق فائدة المخاطب، بمعنى أن شكل الخطاب في اختيار الألفاظ وتوظيفها توظيفا يتناسب ومعهود العرب، في توحد الدال والمدلول لا يكفي وحده للحكم على أن ذلك ينطبق على قصد المرسل، وإن كان قصد المرسل ومعرفته بقدرات المرسل إليه تجعله يوظف اللغة لإنتاج خطاب، يتطابق فيه قصده مع دلالة اللغة في أصلها، دون الاكتفاء بالوضع اللغوي الأصلي، بل يسعى إلى خلق تطابق كلي بين ما يقصده المرسل والوضع اللغوي، وأن ذلك متوقف على (إرادة الاختيار والتوظيف)، والنظر إلى السياق المحقق للتواصل، والمرسل هنا حسب طه عبد الرحمن، وحسب أهمية القصد ودور الإرادة في الفهم والإفهام، تحقيق لإرادة المتكلم، إرادة في انجاز الخطاب إلى متلق محدد، وأن: "يحدث بكلامه غرض آخر، هو إفهامه وهو قصد التوجه بمنطوقه إلى الغير، ولقصد إفهامه بهذا"[26].

وبذلك وبفضل البنية الحجاجية للخطاب نجده يتضمن مؤشرا دالا على قصد المتكلم، هنا يستثمر المتكلم كفاءته التداولية باستعمال خطاب حجاجي انجازي تلميحي، موظفا أدوات وآليات بلاغية للتلميح إلى قصده، ومنها حرف (حتى) يستعملها المتكلم للدلالة على منزلة ترتيب العناصر في السلم الحجاجي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من شهد الجنازة حتى يصلي فله قيراط ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان)، قيل وما القيراطان ؟ قال (مثل الجبلين العظيمين"[27]، حتى العاطفة تلميح إلى خطاب مضمر مفاده ما تقدم من معاني يريدها المتكلم، أن يكون جزاء القراط والقراطين غاية لما قبلهما هي (مشهد الجنازة) و(وحضور الدفن)، هتان الحجتان تملكان قوة حجاجية، غير أن الحجة التي جاءت بعد(حتى) هي الأقوى.

ومنه استعمال (إنما) آلية حجاجية يستعملها المتكلم قصد التأدب مع متلقيه، وهي أداة للحصر دون التصريح بالطرف الثاني، ومن الأمثلة على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة، قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه"[28]، خطاب فيه تشبيه مقدمة تسوغ الكلام الذي سيأتي بعد"[29]، وذلك تلميح إلى أن نصيحته عليه السلام متميزة، وتلميح منه أنه رأى ما يراه الأب من أبنه لكثرة معاشرته لهم دون التصريح بذلك.

ولأهمية السياق ودوره في توجيه الخطاب، تصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظاهري[30]، ولكن ذلك لا يمنع من لجوء المرسل إليه إلى لغة الخطاب الظاهري، لفهم الخطاب في قصده المضمر، وقد بين عبد القاهر لجوء المرسل إليه إلى ذلك «اللفظ يطلق والمراد غير ظاهره»[31]، وهذه هي مساهمة المرسل إليه في تعدد معنى الخطاب الواحد،وأن يقبل أكثر من تأويل، في السياق الواحد، ومثال ذلك حديث رسول الله، وحسب ما يقتضيه السياق والمعنى المعجمي للفظ، فيما رواه عنه أبي هريرة رضي الله عنه، "حجوا قبل ألا تحجوا، حجوا قبل أن يمنع البر جانبه"[32]، الدلالة المنطوية وراء هذا التلفظ، في هذا القول مجاز، جاء استعماله لهذا الأسلوب للدلالة على مقاصد كثيرة:

- حجوا قبل أن يمنع سلوك البر القاطعون لسبيله .
- حجوا قبل أن يمنع العائثون في طريقه.
- حجوا قبل أن يمنع الحائلون بين الناس وبين دخوله.

لهذا حسن على طريق المجاز أن يجعله كالمانع لجانبه، والمخوف لسالكه، لان المحجوب كرها كالمحتجب، والممنوع قسرا كالممتنع.

كل هذه التأويلات والمقاصد مبنية على دور الآلية الحجاجية، المبين للسياق الذي وجه فيه الخطاب الذي يسهم بدوره في فهم القصد، وما يريده المتكلم أن يبلغه إياها، مع فهم التأثير الذي يريد أن يحققه التلفظ.

وهنا يأتي انجاز الخطاب بطرق متعددة، وفي أكثر من صيغة، فيتمكن المتكلم من إنجاز الفعل الواحد بتراكيب مختلفة، ربما هذا ما يجعل من المرسل إليه، يفرق بين المعنى التعبيري (معنى الكلمات)، وبين قوة الأفعال المغرضة أي ما يقصده المرسل.

وبما أن قصد المرسل هو الأساس في تعدد معنى الخطاب الواحد أي: لجوء المتكلم إلى توظيف عبارة واحدة لأكثر من معنى واحد مع نية المتكلم في إيراد كل المعاني التي تحملها العبارة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى"[33]، فالمرسل يلمح في خطابه ويخبر عبد الله بن عمرو لا تشددو على نفسك فيشدد الله عليك، فوصف الدين بالمتانة مجازا، ويذكره عليه الصلاة والسلام أن:

1_ هذا الدين صعب الظهر، شديد الأسر، وصفه عليه الصلاة والسلام بذلك لمشقة القيام بشرائطه، والأداء لوظائفه، فأمر عليه الصلاة والسلام أن يدخل الإنسان أبواب الدين مترفقا، ويرقى هضابه متدرجا، ليستمر على تجشم متاعبه، ويمرن على امتطاء مصاعبه.

2_ ويذكره أن لا تكرهوا عبادة الله.

نلاحظ كلامه عليه الصلاة والسلام مبني على التأدب دون أن يفرض نفسه على المخاطب، أي تقدير الأقوال والأفعال بحسب الفائدة، يسهل ذلك على المتلقي الوصول إلى المقاصد الخفية، قد يكون للخطاب قصد مزدوج ولهذا: "فالقصد بوصفه المعنى هو المحور الرئيسي الذي يتجلى في استراتيجية التلميحية، خصوصا لإنجاز أفعال لغوية متعددة في سياقات متنوعة بخطاب ذي شكل لغوي واحد"[34].

الخطاب ذو أسلوب إنجازي يحمل في ظاهره قوة إنجازيه: حرفية هي الإخبار والمعنى: مكانة الرجل الحامل لكتاب الله تعالى مواظبا على حفظه ليلا ونهارا، وإن كان خطاب الرسول في شكل إخبار، إلا أن الدلالة الحقيقية تظل من اللوازم الضرورية ليعبر المرسل عن قصده في هذا الخطاب، وهذا أسلوب يلجأ إليه المرسل للتأدب في الخطاب، آلية حجاجية يوظفها المتكلم.

كما تتعدد أشكال الخطاب التلميحي، الدالة على القصد، المبينة لسلطة المرسل من خلال معرفة المرسل إليه بسلطته، فيلجأ

المرسل إلى توظيف أسلوب إنجازي وفي سياقات مختلفة، تصبح بمثابة أوامر وتأكيدات؛ كأن ينجز المرسل فعلا لكنه لا يصرح به، تصير وكأنها صادرة عنه صراحة، غير أن هذا لا يخفى على المرسل إليه، فعن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟" فقال أبو هريرة: فقلت أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمسا وقال:"اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب"[35]، وظف عليه الصلاة والسلام أسلوب النهي قصد النصح والإرشاد، إشارة إلى النهي من الإكثار من الضحك، والإحسان إلى الجار، خطابا فيه تلميح إلى ترغيب السامع، أن الغنى غنى النفس وليس المال، ومرة بالإيمان الصحيح ، ومرهبا إياه بموت القلب تجعل صاحبه مغمورا في الظلمات، فهو بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها شيئا مكروه، وهذه هي الإشارة الخفية من خطابه عليه السلام، وظفت هنا آلية الاستعارة للتلميح.

فجاء استعمال الرسول عليه الصلاة والسلام لأسلوب التلميح في هذا السياق في سياقه الحواري للدلالة على أهمية الأمر، آلية حجاجية لجلب انتباه السامع، وهذا أسلوب هدفه التدرج إلى خطابات أخرى، ولتحقيق الهدف وهو هنا المعاملة الحسنة والرضا بقدر الله وملازمة ذكر الله، فكان وعده له عليه السلام في كل مرة بالغنى غنى النفس وليس المال، ومرة بالإيمان الصحيح للدلالة على ملازمته له عليه السلام.

وبما أن مباحث الحقيقة والمجاز، كانت بمثابة الانطلاقة الأولى للوصول إلى المعنى، لمخالفة الأصل في التركيب وغرض التلميح على مستوى معنى الخطاب[36]، ومثال ذلك لجوء المرسل إلى شكل الخطاب وتفكيكه، على مستوى الألفاظ وإعادة إنشاء العلاقة انطلاقا من علاقة الدال بالمدلول، والتي لم يكن بينها روابط من قبل، هذه العملية وخدمة لمراد المتكلم حصرت الدلالة في مفهوم المرسل إليه، وهذه هي عملية التشفير.

**وقد يعمد عليه الصلاة والسلام إلى التشبيه، وهو آلية حجاجية، يسعى إلى الإفهام وتوضيح بعض الظواهر، ف**التشبيه معيار ووسيلة للتلميح وعدم التصريح بوجه الشبه، في شكل خطاب غير مباشر، يتوجه به المرسل إلى متلق، فيختار من سمات المشبه به ما يستطيع إفهامه به،وتقريبه إلى فهم قصده، فيختار السمة الإضافية الأكثر ورودا وتميزا في سياق معين[37]،وهذا متوقف على كفاءة المرسل في توظيف اللغة، وفي هذا السياق روى أبو هريرة رضي الله عنه:أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها"[38].

معنى الاستفعال في (استوقد) قد يكون للطلب الصريح وتارة لا، شبه صفة الرسول وحاله في دعائه الناس إلى الإسلام ، كمثل رجل عالج إيقاد النار وسعى في تحصيل كل ما به اشتداد نارها ونورها، ولكن بدل أن تهتدي بها الضال ويسترشد بها الحائر أقبل عليها الفراش والدواب الصغيرة تتهاوى فيها وتتساقط[39]، هنا لمح عليه الصلاة والسلام إلى قصده المستلزم من الخطاب، وهو أنه المنقذ لهم من النار وما تزين لهم أنفسهم من التمادي في الباطل، وبذلك يبقى التشبيه تلميحا مهما ما

لم يصرح المتكلم بوجه الشبه بين الطرفين.

وهنا يأتي استعمال المرسل للإشارة، لكون الغرض في ذلك التلميح إلى سمة معينة لا تظهر في سياق الخطاب، ليفهم المرسل إليه من خلالها، سمة أخرى تتعلق بالمستعار منه.

وبما أن الاستعارة نوعٌ من الإيجاز، يعبر بها المرسل «بذكره واستعارته أحد الضدين أو النقيضين» كما ذكر السكاكي [40]، بواسطة انتزاع شبه التضاد، وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التلميح، وخصه باسم"الاستعارة"التهكمية *(Antiphrase)* أو الإنجازي.

وقال: "إياكم وخضراء الدمن قيل يا رسول الله وما ذاك قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء"[41]، شبه عليه الصلاة والسلام المرأة الحسناء في منبت السوء بالشجرة الخضراء الناعمة الناضرة ولكن منبتها خبيث قذر وفي هذه الاستعارة التصريحية تحذير للمسلم من أن يغتر بالمظهر وحده، وأن يؤخذ بجمال المرأة من غير أن ينظر إلى خلقها ودينها، إذ لا خير في ظاهر حسن مع باطن خبيث. إنه كشجرة خضراء في دمنة وهي مجتمع الأبعار، يلمح المرسل بخطابه إلى أكثر من معنى:

1_ نهيه عليه السلام عن نكاح المرأة على ظاهر الحسن، وهى في المنبت السوء أو في البيت السوء، فوجه المجاز من هذا القول أنه عليه الصلاة والسلام شبه المرأة الحسناء بالروضة الخضرة لجمال ظاهرها، وشبه منبتها السوء بالدمنة لقباحة باطنها.

2_ نهى في الحقيقة عن تعارض النفاق وتغاير الأخلاق، وأن يتلقى الرجل أخاه بالظاهر الجميل، وينطوي على الباطن الذميم، وأن يخدعه بحلاوة اللسان، ومن خلفها مرارة الجنان.

ومنه يتبين أن الكناية تعني العدول عن لفظ إلى آخر دال عليه، وفي (لسان العرب): الكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره، وكنى عن الأمر بغيره، يكني كناية، يعني: إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه.

وهنا يكون المرسل قد عبر عن قصده بآليات حجاجية مباشرة وغير مباشرة لدواعي يتطلبها الخطاب، فكان من أسباب لجوء المرسل إلى الأسلوب التلميحي الإنجازي ليتمكن من:

- ✓ تحقيق أكثر من قصد عبر ما يوظفه من أدوات لغوية منبهة، توظيفا يتناسب ومعهود العرب.
- ✓ تمكين المرسل من التعبير بخطاب إنجازي واحد، ليحقق معنى ظاهريا ومعنى باطنيا، مجسدا بذلك أهمية الخطاب التلميحي الإنجازي سواء في إنتاج الخطاب أو تأويلاه .
- ✓ يحقق الأسلوب التلميحي الإنجازي قوة إنجازيه، لتوخي إقناع وإفهام المرسل إليه.

❖ **مستوى الخطاب الحجاجي الإقناعي في الحديث النبوي الشريف:**

بما أن غاية الخطاب هي الحوار والتواصل، المحقق لمشاركة طرفي الخطاب في العملية التواصلية، فإن الخطاب النبوي الشريف قد حقق هذا الفعل بواسطة قوى أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات، وإقناعها يبقى إقناع المرسل إليه دون إكراه، وعليه كيف يعبر المرسل عن قصده بأسلوب إقناعي مبني على عناصر السياق، وكيف يستطيع المرسل إليه معرفة وإنتاج تأويلات انطلاقا من المعرفة المشتركة ؟ وهل الوسائل الحجاجية الموجودة في بعض الأحاديث ليست بغرض الإقناع هو غاية

حجاجية؟

إذا كانت وظيفة الآليات الحجاجية مساعدة المرسل إليه في فهم خطاب المرسل، وكذا مساعدة المرسل في إرسال خطابه على الوجه الصحيح، فكان إقناع المرسل إليه من الدوافع إلى اختيار وتوظيف آليات حجاجية وما يتناسب ومنزلة المرسل إليه، ولا يكون ذلك إلا بالتركيز على أهمية اللغة عند استعمالها، وكيفية توظيف المرسل للمستويات اللغوية في سياق معين، وربط إنجازه اللغوي بعناصر السياق المعبرة عن قصده وميوله ورغباته النفعية، وهنا يسهم الإقناع بدور مهم في ربط العلاقة بين طرفي الخطاب، إذ يلجأ المرسل وعبر استعمالات لغوية ذات مرجعيات محددة، وبغية المحافظة على تحقيق هدف معين والمقام، كنصحه عليه الصلاة والسلام لأبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله **يقول**:"من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن طالب العلم ليستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[42].

وظف عليه الصلاة والسلام آليات حجاجية متعددة في خطابه، رغبته تحصيل الإقناع، فهو هدف أساسي في هذا الخطاب، كأسلوب الشرط "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة"، وأسلوب التأكيد و"إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع،" أدوات التأكيد هي: (إن) و(لام) الابتداء، وبعض الأساليب البلاغية، كالكناية "وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا" كناية عن الرضى والاستغفار والتواضع لطالب العلم، والتشبيه " فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب" شبه الرسول فضل العالم على العابد بفضل القمر في حال سطوعه على بقية الكواكب، دلالة على منزلة العالم، فتكون تلك أقدر على التأثير وتحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب بما يتناسب والسياق، فتتضح المقاصد، فمن سار في طريق طلب العلم سهل الله له طريقا إلى الجنة، فقد رضي الله سبحانه وتعالى والملائكة والمخلوقات عن طالب العلم، يستغفر لطالب العلم كل من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر، العالم مفضل على العابد، لأنه يعمل بالعلم وينشره، العلماء ورثة الأنبياء على الأرض.

هنا يكون الإقناع طريقا للدلالة على قدرات المتكلم، إذ يرتبط قصده والهدف من خطابه بالمرسل إليه وبما يريد معرفته، لذا يلجأ المرسل إلى عملية الاستعمال الجيد للخطاب اللغوي، انطلاقا مما يستعمله من أدوات، ومما يرى أنه يحقق هدفه، وذكر صاحب دلائل الإعجاز في تفريقه بين الخبر:"أن من فروق الخبر الإثبات أنك تقول:زيد منطلق،وزيد المنطلق،والمنطلق زيد فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص وفائدة لا تكون في الباقي،وأنا أفسر لك ذلك"[43]،"ففي الحديث السابق جاء بأسلوب إنكاري،تم تأكيد الخبر باستخدام أداتين تأكيد "إن واللام" "وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع"،فكان المعنى المستفاد من حروف الزيادة في الفعل"يستغفر"هو الطلب.

وقد ذكر الماوردي أن المرسل يوظف من الأشكال الصوتية، ما يخدم غرضه، فمن آداب المرسل "أن يراعي مخارج كلامه، بحسب مقاصده وأغراضه، فإن كان ترغيبا قرنه باللين واللطف، وإن كان ترهيبا خلطه بالخشونة والعنف، فإن بين اللفظ في

الترهيب وخشونته في الترغيب خروج عن موضعهما، وتعطيل المقصود بهما، فيصير الكلام لغوا،والغرض المقصود لهوا "[44]، فعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"[45]، هنا تتجلى قدرته عليه الصلاة والسلام في اختيار الكلمات ذات الإيقاع الصوتي الخاص المحبب للسامع وتخدم المعنى المقصود، فكلمة "يغرغر" صوت يبين من يصارع الموت في حنجرته، وعبر عنه بحرف(الغين) مخرجه من الحنجرة، وكرر حرفي (الغين)،(الراء) ليتناسب وحدوث الموت وكأنها تعاود الإنسان.

فقد استعمل عليه الصلاة والسلام حركة التشبيك بالأصابع، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)، وشبك أصابعه"[46]، قوة حجاجية إشارة للدلالة على القوة والتماسك وتقوية بعضهم لبعض، ويتضمن حث المؤمنين على أن يكونوا إخوانا متراحمين متحابين متعاطفين .وبهذا يتضح لنا دور السلوك الحركي أثناء التحدث التعبير بالوجه، والتبسم والضحك، والبكاء وحركة العيون، والإشارة اليدوية، وتغيير وضع الجسم، والتمثل الانفعالي للموقف في عملية التواصل.

وبما أن غاية المرسل هي إفهام المرسل إليه، فلا بد له إذا من أن يمتلك اللغة، معرفته بعلاقة الدال بالمدلول، معرفته بقواعد اللغة، تراكيبها وسياق استعمالاتها.

كما أن فهم المرسل إليه لقصد المرسل، لا يقتصر عند إيجاد العلاقة الدلالية في العلامة اللغوية (بين الدال والمدلول)، فما الوسائل اللغوية وأثرها في توجيه المرسل لاختيار الأسلوب الإقناعي، إلا لمساعدة للمرسل إليه في فهم القصد.

وبما أن الخطاب لا يكشف عن قصده مباشرة، فإننا نرى أن من وسائل المرسل الإقناعية أن لا يتوقف عند الظاهر من الملفوظ لإقناع المرسل إليه، بل يلجا إلى توظيف الخطاب الإنجازي، غير أن ما يوظفه من أدوات لغوية تجعل للخطاب معنى آخر غير الظاهر، كل ذلك يلقي بظلاله على اختيارات المرسل لأدواته الحجاجية الإقناعية وهذا ما يجعل الاستعمالات البلاغية هي الأخرى دليلا على قوة المرسل الإقناعية، إذ تساعده في تحقيق هدفه من الخطاب، وتكمن درجة إقناعها أو حجاجيتها لدى طه عبد الرحمن، في ما فرضه لبناء نظرية للاستعارة في الحجاج[47]، وإن القول الاستعاري يتميز بثلاث خصائص، قول استعاري حواري حجاجي تفاعلي، وهو قول عملي تخييلي وغرضه متوقف على التأويل، تأويل المتكلم وتضمين كلامه وما تحمله الجمل الاستعارية، وتوظيفها في سياقها المناسب،لعملية التواصل اللغوي، ويقابله تأويل المخاطب وتحليل دلالات الخطاب.

والاستعارة في الحديث النبوي الشريف وسيلة بيانية هامة في تجسيد الأفكار وتشخيصها، لا يوظفها إلا لعلمه عليه الصلاة والسلام أنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا، وإيضاحا للمعاني والتعبير عنها بشكل فني جمالي متميز، عن أبي هريرة رضي الله عنه:عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:"لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"[48]، هذه استعارة تمثيلية حجاجية جاءت على شكل المثل، الممدوح هو الكيس الحازم الذي لا يستغفل الحذر، وهو يضرب لمن لا يتعظ من خطئه الأول، ويكرر الإساءة أي الفعل، الذي يؤتى من المكان الذي أتي منه أول مرة، لذلك رجح في حديثه سمة المؤمن الفطن الكيس

فوجد أنها أعلى صفات الدهاء، وأدناها من كرر الإساءة، وتكمن حجاجية الاستعارة أكثر في تفاعل طرفي الخطاب وجلب انتباه السامع، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ قطوبى للغرباء"[49]، إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا جعل عليه السلام الإسلام غريبا في أول أمره تشبيها له بالرجل الغريب الذي قل أنصاره وبعدت دياره، لأن الإسلام كان على هذه الصفة في أول ظهوره، ثم استقرت قواعده، ثم قال: "وسيعود غريبا"، إلى مثل حاله الأولى في قلة العاملين به والمناصرين له، وهذه استعارة مكنية شخص فيها الإسلام بكائن حي هو الرجل الغريب في أول أمره وآخره، وفي هذا السياق يذكر الدكتور صلاح فضل فيما يتعلق بوظيفة الاستعارة، ودورها في تكثيف دلالات الكلمات وتفاعل بين المصرح به والملمح إليه، وإنها ليست مجرد عملية لنقل كلمات بقدر ما هي عملية تفاعل وتبادل على مستوى الأفكار، والسياقات المعبرة عن موهبة وكفاءة المرسل في الإنتاج، والمرسل إليه في الفهم والتأويل[50]، مما بين أهمية الاستعارة لدى المرسل وكثرة استعمالها، لكونها الأداة البلاغية الأنسب لما يقتضيه السياق، ولكون المرسل يركز في توظيفها على المستعار منه، فيكون ذلك بالنسبة للمرسل أهم وسيلة لإقناع المرسل إليه، وتحريك همه وجذب انتباهه، ففي قوله عليه الصلاة والسلام، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار"[51]، وظف المرسل هنا الاستعارة التصريحية، بدأ كلامه بتشويق السامع (أتدرون) سؤال استفهامي، فكان الرد سريعا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، ثم تشوقوا إلى ما سيقوله الرسول صلى الله عليه وسلم عن حقيقة المفلس فجاء بعد هذا التشويق، رده عليه الصلاة والسلام بمفهوم واسع للإفلاس من زاوية أوسع، فهو يخاطب أصحابه بأسلوب فيه إثارة إلى البحث والتفكير، ونجد في تكرار لفظ المفلس كناية عن الشخص المشتوم أو المقذوف كناية عن موصوف، وفي لفظ (طرح عليه) استعارة تصريحية تبعية، هذا يمثل أن الاستعارة أقوى الآليات اللغوية حجاجية، فتكمن حجاجيتها في طريق إجراء هذه لاستعارة أن يقال: شبهت الخطايا والسيئات بشيء ثقيل كالحمل الذي تحمله الدابة مثلا، ثم استعير لفظ الطرح للحمل الثقيل واشتق منه طرح على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فكأن الذنوب تطرح عن ظهر المظلوم إلى ظهر الظالم فتزداد أثقاله ثم يطرح في جهنم.

فالاستعارة إذا حسب أبي بكر العزاوي، يستعملها "المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية"[52].

إذا هي ليست فقط عملا لغويا، بل أيضا تجسيدا لتصورات المخاطبين، المرتبطة ببنية ثقافية محددة لمجموعة من الأفراد.

وقد منحها الطابع القصدي لما تحمله من بنية منفردة، لجذب انتباه المتلقي،والمحققة للاتصال وترابط أجزاء الخطاب، أن أعطت للخطاب لا محدودية للتأويل[53]، مما يظهر أن عملية إنتاج الخطاب عملية مبنية على إقناع المرسل إليه، ومثله عملية

الفهم (القراءة) مبنية هي الأخرى على اقتناع القارئ بقصد المرسل، وهذا كله متوقف على خصائص الاستعارة، من حيث البنية والسياق والدلالة.

كما أن للسياق دوره الكبير في تخصيص الإطار العام للاستعارة، لتتضافر مع خصائصها بين المذكور من الخطاب والمغيب، كما يسهم بدور مهم في التأويل والفهم.

وقد يكون إقناع المرسل إليه من خلال الوظيفة البلاغية للتشبيه والكناية، وهي آلية حجاجية أكثر قدرة على التأثير والتأثر على مواقف وسلوك مخاطبيه، تقنية حجاجية تقوم على تصوير المعنى، وتقديمه تقديما محسوسا، وذلك عن طريق ربط الصور الحسية بأخرى أشد منها، والبعد الحجاجي الإقناعي في الحديث النبوي الشريف، وبخاصة التشبيه، يتحقق دوره حسب مقدار الاستعمال، فكانت في الحديث النبوي أكثر إقناعا وتأثيرا، ومثالها قوله عليه الصلاة والسلام عن أبي هريرة أنه قال: "قال الله تبارك وتعالى إذا تقرب عبدي مني شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتاني مشيا أتيت هرولة وإن هرولة سعيت إليه والله أوسع بالمغفرة"[54]، فالرسول الكريم يريد أن يقنع كافة المؤمنين بضرورة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فوظف أسلوب الشرط "إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا"، "وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا"، "وإذا أتاني مشيا أتيته هرولة"، مصرحا بتقرب العبد إلي ربه شبرا كناية عن التقرب القليل، نفهم من هذا الحديث أهمية التشبيه "وإذا أتاني مشيا أتيته هرولة: في إقناع المرسل إليه فصور الإنسان متقربا إلى الله كأنما يمشي إليه، مصورا مضاعفة جزاء الله لذلك الإنسان، ومكافأته على تقربه له كأنما يهرول نحوه، مقابل مشيته، وفي ذلك دلالة على مضاعفة الأجر مقابل عمل الخير، وبهذا التصوير البلاغي يفهم المرسل المعنى الخفي، ويقتنع بدعوة المرسل.

كما يسعى المرسل إلى تنويع آلياته الحجاجية البلاغية من خلال التمثيل بالتشبيه[55]،كعقد الصلة بين صورتين، ليحقق حججه والإقناع بما يذهب إليه، وإيصال خطابه وفهمه فهما صحيحا، فقد يلجا إلى عقد صلة بين شيئين اثنين، ومثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي موسى:"إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفةٌ من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق" [56]، بهذه البنية الحجاجية أراد عليه الصلاة والسلام إقناع السامع وطمأنته وتوجيهه ، فعندما نتأمل هذا الحديث نلاحظ أنه خطاب يحمل التأكيد ب(إن) و(بي رأيت) غرضه الاقناع، ثم صاحب خطابه بلفظ (العين) ليذهب كل شك عنه، لصدق دعوته وجدية حديثه لهم، وللاقناع أكثر أعقب قوله"إني رأيت الجيش بعيني" بصورة مرئية" وإني أنا النذير العريان"استعارة تمثيلية، وكانت الغاية من هذا الحديث تحفيز المتلقي وتحميله محاولة إدراك وتصور طاعة الرسول والامتثال لما جاء به في خطابه الحجاجي حيث شبه حاله وهو ينذر قومه بصورة رجل كان على ربيئة قومه وعينا لهم، فأراد إنذار قومه وإعلامهم بهجوم العدو عليهم، فنزع ثوبه وأشار به إليهم، ثم استعيرت هيئة المشبه به للمشبه، ثم شبه من أطاعه بقوم أطاعوا طليعتهم وصدقوه بما اخبرهم فنجو، فيه تشبيه تمثيلي، وشبه من عصاه بقوم استهانوا بهذا النذير

واستخفوا بما قال ففتك بهم العدو تشبيه تمثيلي، يفهم ذلك من خلال الدلالة المنطوية وراء هذا التلفظ، الذي تشير إليه، أراد مرسل الخطاب أن يبين غرضه من ذلك هو إزالة شك المرسل إليه، ويصل إلى إقناعهما وكان ذلك في شكل تمثيل، وقد بين عبد القاهر ما للتمثيل من أهمية ودور في أداء المعنى، وكيف يتم توظيفه كأداة لإقناع المرسل إليه، ولما يريد المرسل الوصول إليه، فهو برهان وبيان وحجة "...فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم،وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"[57]، وتلخيصا لما سبق ذكره، أن للإقناع أدوات عديدة تجعل المرسل يوظف منها ما يتناسب غرضه ويحدد هدفه.

وقد يعمد عليه الصلاة والسلام إلى الكناية، وهي آلية حجاجية، توظف للوصول بالمرسل إليه من خلال الفعل التكليمي إلى الحديث عن صفة حميدة تميز بها الصحابي الجليل أبي ذر، "فعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر"[58]، الخضراء كناية عن موصوف هو السماء، والغبراء كناية عن موصوف هو الأرض، في حين يفهم انه يريد أن يخبر أنه أفضل من غيره لم يتقدمه أحد في الصدق وليس أصدق من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصدق من أبي بكر وعمر ومن أفضل منه، وبهذا يتضح دور هذه الآلية الحجاجية في الفهم والإفهام.

ويوظف المرسل البديع وغايته في ذلك إقناع المرسل إليه، والتركيز على ظاهرة الطباق والمقابلة والسجع بين الألفاظ، من اهتمامات العرب في استعمالها للغة، أن تلجأ إلى توظيف البديع، وتوظيفه ليس من باب الزخرفة والصنعة اللفظية، وقد بين ذلك طه عبد الرحمن، أن تلك "الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام تبين أن أساليب البيان المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع، إنما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ"[59].

وقد وظفت آليات متعددة في أقواله عليه الصلاة والسلام، أسهمت بدورها في بناء الخطاب اللغوي الإقناعي، يناسب قصده ويخدم غرضه الإقناعي، لما يقتضيه السياق، إذ قد يكون الحجاج بالمقابلة، مقابلة مجموعة كلمات ضد مجموعة كلمات في المعنى على التوالي، ومثال ذلك ما رواه أنس عن رسول الله أنه قال للأنصار: "إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع"[60]، التقابل هنا بين كلمتي (تكثرون والفزع ) و(تقلون والطمع )، فقد تطابقت في هذا الحديث الشريف لفظان متضادان في المعنى، خطاب تم التركيز فيه على توظيف ما يسمى بالطباق بين الألفاظ (الكثرة، و القلة)، (الفزع، والطمع)، بينت من خلالها كيف استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام إقناع المرسل.

ويسعى المرسل إلى توظيف الطباق لتحقيق شيء في ذاته، وهو إقناع المخاطب لما يريده، كما في قول صهيب عن رسول الله أنه قال" عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"[61]، وهذا توظيف أوسع للطباق، وهو طباق إيجاب بين (سراء) و(ضراء)، بين من خلالها كيف استطاع عليه الصلاة والسلام بيان حقيقة الإنسان المؤمن فهو على كل حال خير ، في ضراء أو في سراء وإقناعهم مصرحا بالأجر لمن أصابته المصيبة، ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ، وهو الجمع بين معنيين متضادين، أي معنيين متقابلين لذلك يسمى عند بعض البديعيين بالمقابلة وسماه ابن الأثير التناسب بين المعاني وهو ضد التجنيس في الألفاظ لأن

التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف في المعنى والطباق هو أن يكون المعنيان متضادين.

كما نجد في هذا الحديث دلالات معينة في الجرس الموسيقي قوله " أن أمره كله خير"جملة تقابلها جملة "ليس ذاك لأحد إلا للمؤمن"، وكذا الجملتان الأخيرتان مثل واضح على التوازن الصوتي والمقابلة التامة تقابل يكسب الصورة وضوحا ذلك أن جمع الشيء إلى ما يخالفه يبرزه ويبين خصائصه، حيث يمكن أن تجسد الإقناع والإفهام.

كما استطاع عليه الصلاة والسلام إقناع متلقيه بتوظيف مفردات إقناعية (حجاجية)، باستعماله المقابلة في تركيب الكلام:فعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إن الله عزوجل يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"[(62)]، إذ قابل بسط اليد في الليل والنهار ويتوب مسيء النهار والليل، يريد إقناع المرسل إليه بأهمية التوبة، وأنه صادق فيما يقول، وأنه صادق في حجاجه، إذ استطاع في الأخير أن تغلب حجته فلاقت قبولا لدى السامع، فبسط اليد استعارة في قبول التوبة، لأن في عرف العرب إذا رضي أحدهم الشئ بسط يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه.

ونجد في هذا التقابل توازن صوتي بين طرفي الكلام، ففي الطرف الأول بسط اليد ليتوب مسيء النهار، وفي الطرف الثاني بسط اليد في النهار ليتوب مسيء الليل، هنا تكمن فعالية الموسيقى في التناسب مع ما يقتضيه السياق، فهي من أقوى الآليات الحجاجية، ويظهر ذلك في تركيزها على المرسل إليه، ويقتنع أن الله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن.

وما يلفت النظر في أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، الكلمات المأنوسة والجمل المتناسقة، يعنى بالجرس والإيقاع عناية بالمعنى، فقد يعمد الرسول إلى استعمال السجع للتركيز على جزء الخطاب، تحمل قصد المرسل، فعن عبد الله بن سلام قال، قال رسول الله: «يأيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[(63)]، وهذا التناسق الصوتي على مستوى اللفظ والصوت المفرد والتركيب، هدفه جلب انتباه المرسل إليه، وهذا التناسب الصوتي من قبيل السجع لا تعسف فيه ولا تكلف، ولم يجر اللفظ فيه على المعنى، وإنما جاء تابعا للمعنى، هنا شكل الخطاب اقتضى توظيف الأداة وهي السجع، أوحي لفظ (السلام)، (الطعام)، (الأرحام)، (نيام)، (بسلام)، بالسلاسة والسهولة ويسر الاستساغة، وذلك لما بينها من انسجام في بعض الحروف، وترجع بلاغة هذا الجناس إلى الجرس القوي لتلك الألفاظ لوجود حرف الميم في كل منها، هذا في مقابل الإيحاء في جهة الضد للمعنى السابق، فجاء انتقاء الصوت له اثر كبير في نفس المتلقي بمثابة آلية حجاجية وظفها المتكلم ليكون بذلك الانسجام الصوتي وسيلة حجاجية تمكنه من توصيل المعنى إلى قلب السامع، وفي إيصال الصورة المتفردة لمدلول الحديث الشريف، هو ذكره عليه الصلاة والسلام أسباب السعادة الأخروية من العبادة الخالصة لله تبارك وتعالى والإحسان إلى الناس بالسلام عليهم وإطعامهم الطعام، وهذا الاستعمال اقتضى أولوية للدلالة على قصد المرسل.

وبذلك نجد أن السجع[(64)] لا يوظف ليكون زينة زخرفية تحسينية، بل الغرض منه الزيادة في المعنى وضوحه فيقتنع به المتلقي، وكل تجنيس في أحاديثه صلى الله عليه وسلم إنما كان مما يقتضيه المعنى، وفي الحديث التالي أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد

الله رضي الله عنهم زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خلوا بين جرير والجرير** »[65]، هنا لجأ عليه الصلاة والسلام إلى لفظ يفي بما يقتضيه التركيب اللغوي للحديث، تكرار كلمة جرير في الحديث الشريف مرتين متماثلتين، أي دعوا له زمامه، ففي اللفظ تماثلا تاما، ولهذا الاستعمال فوائد أولاهما عنت اسم الصحابي والثانية جاءت بمعنى الزمام، وهذا ما يسمى بالجناس التام أو التجنيس الحقيقي كما أطلق عليه ابن الأثير.

وبعد هذا العرض وكما اتضح لنا من خلال هذه النماذج، نلاحظ أن الوسائل الحجاجية الموجودة فى بعض الأحاديث ليست بغرض الإقناع فقط بل غاية حجاجية، بإمكان المرسل إرسال خطابه على الوجه الصحيح، اختيار وتوظيف الألفاظ وما يتناسب ومنزلة المرسل إليه، ومساعدة هذا الأخير في معرفة وإنتاج تأويلات انطلاقا من المعرفة المشتركة، استراتيجية إقناعية تجسد مبدأ الحوار، ليحقق بذلك الحديث التواصل من جيل إلى جيل.

**النتائج:**

وفي ختام هذا البحث بدا لنا أن الخطاب في الحديث النبوي ومن خلال أنماط الحجج التي رأيناها أنه خطاب يهدف إلى:

- أن تقنيات الحجاجي البلاغي تتنوع حسب استراتجيات الحديث النبوي الشريف تختلف من حديث لآخر (تعليمي تضامني تلميحي اقناعي)، محققا بذلك فعل الصورة الحجاجية، بواسطة قوى أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات وما تحققه بدورها من آثار ونتائج.
- أن الاختلاف في مستويات التلقي يؤكد الصفة الحجاجية للخطاب الحجاجي، فهو خطاب موجه لكافة الناس في الزمان والمكان، ويهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطبيه.
- بيان دور الآليات الحجاجية البلاغية في الحديث النبوي الشريف، لإيصال الفكرة إلى القارئ، تمكنه من النفوذ إلى الخطاب.
- دراسة مظاهر المعاني البلاغية في الحديث النبوي يظهر تنوع استراتجيات الخطاب في الحديث النبوي من خطاب تعليمي إلى تضامني ثم تلميحي واقناعي.
- تنوع تقنيات الحجاج البلاغي في الحديث النبوي، مراعاة لخصائص مقامية معينة، وحسب طبيعة المخاطبين، وحسب مستوياتهم المختلفة، يجسد التفاعل بالمقام ويحدد شكل الخطاب.
- خطاب يفهم وينسجم ومستوى مخاطبيه، يفهم مقامهم وأحوال سامعيه، ومستوياتهم المعرفية والإدراكية، فهم مطالبون بانجازه.
- مساعدة القارئ لممارسة عملية الفهم، وإقامة علاقة مع النص، وإعادة فهمه من جديد، وهذا من صميم العملية الحجاجية.

إلى هنا نكون قد المحنا إلى أهم تقنيات الحجاج البلاغي في الحديث النبوي الشريف، وقد رأينا إلى أي مدى كان أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم حجة ووسيلة لتمكين الحقيقة في نفوس البشر.

## References

[1] Muhammad bin Mukaram bin Manzoor Afriqi al misri, Lisan al Arab, Beirut, Taba awwal.

[2] Dr. Rafiq ul ajum, Mustilahat usool fiqah, V.2, p. 159.

[3] Abu al Hussain Muslim bin al Hijjaj bin Muslim al Qashiri al Nishapuri, al Jamia al Sahi, Beirut, V.1, p. 76.

[4] Muhammad bin Ismail abu Abdullah Bukhari, Jamia Sahi Bukhari, 1407H, Tahqeeq : Dr. Mustafa Deeb, V.2, p. 104.

[5] Muslim bin al Hijjaj, Jamia Sahi, 64/1.

[6] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, p. 2256.

[7] Muslim bin al Hijjaj, Jamia Sahi, 37/8.

[8] Abu al Abbas Muhammad bin Yazeed al Mubrid, Beirut, V.2, p. 135.

[9] Muhammad bin Essa abu Essa al Tirmizi al Salmi, Jamia al Sunan al Tirmizi, Beirut, V.1, p. 72.

[10] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.1, p. 197.

[11] Abu Ahmed Muhammad bin Muammad al Ghazali (450-505H) (1058-1111)/ Mutakalm wa felsoof muslim lahu door kabir fi al fikar al arabi.

[12] Abu Ahmed Muhammad bin Muammad al Ghazali, Beirut, V.1, p. 737.

[13] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.2, p. 907.

[14] Abdul Hadi Zafir al Shahri, Istirajiyat al Khitab, taba awwal, 2004, p. 47.

[15] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.1, p. 457.

[16] Al Musdir Nafsahu, V.4, p. 1594.

[17] Jamia al Sunan al Tirmizi, Muhammad bin Essa abu Essa al Tirmizi al Salmi, Beirut, V.3, p. 373.

[18] Muhammad bin Essa Tirmizi, Jamia Sunan al Tirmizi, V.5, p. 693.

[19] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.3, p. 1298.

[20] Muhammad bin Essa Tirmizi, Jamia Sunan al Tirmizi, V.4, p. 367.

[21] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.6, p. 2722.

[22] Muhammad bin Essa Tirmizi, Jamia Sunan al Tirmizi, V.1, p. 435.

[23] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.5, p. 2237.

[24] Suleman bin Ashas Abu Dauood al Sajistani al Zadi, Sunan abu Daood, V.2, p. 665.

[25] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.2, p. 2662.

[26] Abdul Qadir Jarjani : Dalail al-aijaz, Tahqeeq : Shakir Muhammad Mahmood, 1410, Qahira, p. 66.

[27] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.1, p. 445.

[28] Suleman bin Ashas, Sunan Abu Dauood, V.1, p. 4.

[29] Al Tasweer al Fani fi al Hadees al Nabavi, Muhammad bin Lutfi al Sabagh, 1983, p. 290.

[30] Ibn Qatibah, Tahqeeq : Syed Ahmed Saqar, Taba Saniya, 1973, p. 275.

[31] Al Marji Nafsahu, p. 214-215.

[32] Abu Bakar Ahmed bin al Hussain bin Ali Biqahi, Taba Awwal, 1344, V.4, p. 340.

[33] Biqahi, Sunan al Kubra, V.3, p. 19.

[34] Al Zafir, al Shahri, Istratijiyat al Khitab, Taba Saniya, p. 198.

[35] Muhammad Nasiruddin al Albani, Al silsilat al Sahihat, Riyad, V.2, p. 600.

[36] Abdul Qadir Jarjani : Dalail al-aijaz, p. 66, Wakaza, p. 368.

[37] Al Sikaki, Yusuf bin Abu Bakar Muhammad bin Ali, Muftah ul Uloom, Tahqeeq : Dr. Abdul Hameed Hindavi, 2000, p. 339.

[38] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.5, p. 2379.

[39] Abdul Fatah Lasheen, Mun Bilaghat al Hadith al Sharif, Taba :1, 1982, p. 85.

[40] Al Sikaki, Muftah ul Uloom, p. 385.

[41] Jalaludin Siyoti, Jamia al Ahadith, Beirut, Taba :2, 1415, V.38, p. 451.

[42] Suleman bin Ashas, Sunan Abu Dauood, V.3, p. 356.

[43] Abdul Qadir Jarjani : Dalail al-aijaz, p. 177.

[44] Abu al Hassan Ali bin Muhammad bin Habib al Busri al Mavardi, Adab al Dunya Waldeen, Beirut, Taba :2, 1415, p. 447-448.

[45] Muhammad bin Essa Tirmizi, Jamia Sunan al Tirmizi, V.5, p. 206.

[46] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.1, p. 182.

[47] Lilsan wa al Meezan wa Takoosar, p. 310-311. Fi usool al hawar wa tajdeed ilm al kalam, p. 51.

[48] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.4, p. 2271.

[49] Muhammad bin Essa Tirmizi, Jamia Sunan al Tirmizi, V.2, p. 129.

[50] Salah Fazal : Bilaghat al Khitab wa Ilim al Nus, Taba :1, 2004, p. 182.

[51] Muhammad bin Essa Tirmizi, Jamia Sunan al Tirmizi, V.4, p. 35.

[52] Al Azavi Abu Bakar, Nahu Muqaribat Hijajiat, Beirut, 1390, p. 81-85.

[53] Salah Fazal : Bilaghat al Khitab wa Ilim al Nus, Maktabat ilmiyat, Beirut, 1399, p. 147-148.

[54] Al Amir Allaudin Ali bin Balban al Farsi, Sahi ibn Hiban ba'tarteeb bin balban, V.3, p. 90.

[55] Kitab : al Taraz al Muziman al israr al balaghat wa uloom haqaiq al aijaz, Beirut, taba :1, 1415, p. 558-559.

[56] Muhammad bin Ismail al Bukhari, Jamia Sahi, V.4, p. 2656.

[57] Abdul Qadir Jarjani : israr al balaghat, p. 88.

[58] Muhammad bin Essa Tirmizi, Jamia Sunan al Tirmizi, V.5, p. 333.

[59] Zafir, al Shahri, Istratijiyat al Khitab, p. 498.

[60] Jalaludin Siyoti, Jamia al Ahadith, Beirut, V.33, p. 205.

[61] Suleman bin Ashas, Sunan Abu Dauood, V.3, p. 301.

[62] Muslim bin al Hijjaj, al Jamia al Sahi, V.8, p. 100.

[63] Abdullah bin Abdul Rehman abu Muhammad al Darmi, Beirut, Taba :1, 1407, V.1, p. 405.

[64] Al Sajai : ho tawafiq al fasilteen mun al nasir ali hurf wahid fi al akhir, wa misalhu quol al nabi S.A.W (Allahuma atia munfiqa khalfa, wa aita mumsika talfa.

[65] Abu al Sadat al mubarak bin Muhammad al jazri, beirut, 1399, V.1, p. 729.